

## المنهج النفسي

يعرّف المنهج النفسي بأنه المنهج الذي يستقي مبادئه وقواعده النقدية من نظريات التحليل النفسي التي أرسى أصولها وأسسها الطبيب (سيجموند فرويد)، والتي ترد الفن والإبداع إلى نقطة اللاوعي في العقل الإنساني  
نشأته:

للمنهج النفسي في النقد الأدبي جذور بعيدة، تمثلت في تلك الملاحظات التي ترد في بعض ظواهر الإبداع، فيمكننا أن نجد لها في نظريات أفلاطون عن أثر الشعر على العواطف الإنسانية، وما لذلك من ضرر اجتماعي؛ طرد لأجله الشعراء من مدينته الفاضلة، كذلك نلاحظ أن "نظرية التطهير عنده" (إنما تربط الإبداع الأدبي بوظائفه النفسية من خلال استثارة عاطفتي الخوف والشفقة)).

وقد ارتبط النقد النفسي بالتحليل النفسي وعالمه فرويد الذي كان يرى أن النص الأدبي يحتوي على موقع أثري يتكون من طبقات من الدلالات متراكم بعضها فوق بعض ولا بد من الحفر والتقيب فيها قصد الكشف عن غوامضه وأسراره.

وتقوم فكرة اللاوعي عنده على أن المرء يبني واقعه بناءً على رغباته المكبوتة، فإن كل تعبير سلوكي كان أو خيالا ، هو مجموعة معقدة من الرموز التي تحاول الكشف بطريقة غير مباشرة عما يتمنى هذا المرء فعله واللاوعي عميق الجذور في حياة الإنسان العاطفية والجسدية التي يفترض اشباعها.

والأدب والفنون عامة، في رأي فرويد شكل من أشكال التعبير عن هذه الرغبات المكبوتة وصورة من صورة التنفيس الشكلي عن اللاوعي المختزن كما يرى أن الأعمال الأدبية العظيمة تشكل أسلوباً يلجأ إليه اللاوعي للتعبير عن نفسه تعبيراً سامياً، فيشعر الكاتب بعد إبداعه بالرضى والارتياح، ومرد هذا الشعور هو تخلصه من مكبوتات كانت تقلقه.

وقد حدد أصحاب هذا النقد عدة آليات يلجأ إليها اللاوعي في التعبير والتي من شأنها أن تكون طريقاً للإبداع نذكر منها مايلي :

1- التكتيف: وهو حذف أجزاء مخزون اللاوعي وخلق عناصر عدة، بعضها ببعض ليؤلف منها وحدة متكاملة.

2- الإزاحة: وهي إبدال موضوع الرغبة اللاوعية الممنوعة بأخرى مقبولة اجتماعيا وعرفيا وقانونيا..

3- الرمز: عرض المكبوت ( الممنوع) في شكل آخر غير ممنوع ، فإن لكل عمل أدبي مظهرين أحدهما خفي وثانيهما ظاهر .  
أهمية اللاشعور:

منطقة اللاشعور هي خزان لمجموعة من الرغبات المكبوتة التي تشبع بكيفيات مختلفة، فقد نحلم بهذه الرغبات في أحلام يقظة أو نوم، وقد نجسدها من مجموعة من الأعمال الإبداعية (شعر ، رسم موسيقى ، ...).

### مبادئ المنهج النفسي

يقوم المنهج النفسي على مجموعة من المبادئ أهمها:

1. النص الأدبي مرتبط بلاشعور صاحبه.
2. وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تتجلى بشكل رمزي على سطح النص، وأثناء تحليل لا بد من استحضار هذه البنية.
3. يعتبر رواد المنهج النفسي الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية شخصيات حقيقية لأنها تعبر عن رغبات ووقائع حقيقية مكبوتة في لاشعور المبدع.

### مجالات النقد النفسي

يركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الإبداعية على الجوانب مختلفة نذكر منها:

#### 1-عملية الإبداع الفني:

إن العنصر النفسي أصل من أصول العمل الأدبي، أي أنه تجربة شعورية تستجيب لمؤثرات نفسية، والسؤال المطروح كيف تتم عملية الإبداع الفني والأدبي؟ يرى فرويد أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من خلال علاقته بأنشطة بشرية ثلاثة: (اللعب، التخيل، والحلم). فالإنسان يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم أحلام يقظة أو نوم وهو في كل هذه الحالات يشكل عالما خاصا به، وما أشبه المبدع بالطفل الذي يلعب عندما يصنع عالما من خيال يصلح فيه من شأن الواقع.

والإبداع شبيه بالتخيل، لأن التخيل عند المراهق يعادل اللعب عند الطفل.

والإبداع شبيه بالحلم من حيث أنه انفلات من الرقابة، ومن حيث أن الصور فيه رمزية لها ظاهر وباطن .

وقد ركز فرويد على هذا الجانب تحديدا - ارتباط الأدب بالحلم - لأن كلا منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع، ولذلك قسم فرويد النفس البشرية إلى مناطق ثلاثة: أ-الأنا: وهو الجانب الظاهر من الشخصية وهذا الجانب يتأثر بعالم الواقع من ناحية وبالعالم اللاشعور من ناحية أخرى، وهو يميل أن تكون تصرفاته في حدود المبادئ الخلقية التي يقرها الواقع.

ب- الأنا العليا: وتتكون منذ الطفولة فالطفل يزن الأمور حسب نظرة والده، فالطفل يعجب بوالده الذي يجمع بين القوة والعطف.

ج- الهو أو الهي: يرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان، ومن صفاته:

1. إنه لا يتجه وفق المبادئ الخلقية.
2. إنه جانب لاشعوري.
3. يسير على مبدأ تحقيق اللذة والألم.
4. لا يتقيد بقيود منطقية.
5. من مركباته النزعات الفطرية والوراثية، وأهمها النزعة الجنسية.

فالإنسان حسب فرويد إنسان غير سوي تسره الغريزة الجنسية، وما يظهر من مظاهر الحماسة إشارة إلى هذه الغريزة ورمز لها.

وفي هذا التطبيق يفسر النص من خلال مؤلفه، في المقابل استنباط حياة المؤلف من خلال نصوصه. أي اتخاذ النص وثيقة تعين على سبر أغوار الكاتب النفسية.

ويحاول الناقد التقاط ما أمكنه من جزئيات السرية الذاتية للمؤلف: طفولته، نشأته، وظروف حياته، ومسودات كتبه واعترافاته، وكل ما من شأنه أن يساعد على تحليل نفسية الكاتب.

## 2- النص والمتلقي

وهنا يعنى الناقد بعلاقة العمل الأدبي بالآخرين، وتأثرهم به مجيبا بذلك على سؤال تردد طرح كثيرا، هو: لماذا يستثيرنا الأدب؟

فأجاب البعض قائلا: إنه يستثيرنا لأنه يقدم في شكل رمزي، فنحن نعيش تجاربنا السابقة مع هذا النص.

وهنا يكون التركيز على المتلقي ومدى استجابته نفسياً لهذا العمل الأدبي.

### المنهج النفسي عند العرب القدامى:

وقد فطن النقاد القدماء لهذا المنهج من خلال نظراتهم الدقيقة التي تدل على عمق خبرتهم بالبنفس الإنسانية ومدى تأثرها بالأدب .

فكان ابن قتيبة من أوائل من تلمس البواعث النفسية في الشعر بين النقاد، فنراه يطرح العوامل النفسية التي تختفي وراء العمل الأدبي والمنحصرة في إطار الباعث الشعوري كالغضب والطرب والشوق والحالات الشعورية الأخرى ليس أكثر، يقول: «وللشعر دواعٍ تحت البطية وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب...» وتحدث عن الوقت بالتحديد كأول الليل، وصدر النهار، وذهب ابعد من هذا عندما ربط المكان بالإبداع، فهو يحث الأديب ضرورة اختيار المكان كأن يكون في نهر جار، وروضة معشبة ومكان واسع لا أمد له .

أما القاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتتبي وخصومه فقد ذهب إلى أبعد من هذا في تحليله الملكة الشعرية وإرجاعه إليها إلى عواملها المختلفة من طبع ورؤية وذكاء، وأن اختلاف الشعر يرجع إلى اختلاف طبائع الشعراء أنفسهم.

ويربط ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر ربطاً نفسياً بين ارتياح القارئ للنص واهتزاز له، وبين عاملي الموافقة والمخالفة أو الألفة والغرابة، وفي ذلك جانب من الكشف عن القوانين المتحركة بحالة المتلقي والمحددة لمواقفه وردود أفعاله .

ولعبد القاهر الجرجاني وقفات ونظرات في أثر الشعر على النفس، من ذلك ربطه بين مزية النص ولطفه وبين ما يتسم به من غموض وبعد عن المباشرة يبعثان في النفس دواعي الحنين إليه والرغبة في نيله، لا لشيء إلا لتمنعه عن الانكشاف السهل المباشر .

وهذه الآراء هي بمثابة إرهابات وتوطئة له .

وفي ثقافتنا العربية المعاصرة نشأت مدرسة علم "نفس الإبداع"، أسسها "مصطفى سوييف"، صاحب كتاب: "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة"، وقد كان كتابه هذا بمثابة نقطة الارتكاز الجوهرية لأعمال هذه المدرسة التي تشعبت وتناول تلاميذها باقي الأجناس الأدبية،

وسعى العقاد في دراسته شخصية أبي نواس إلى تفسير نفسيته في ضوء العقدة المرضية المعروفة بـ"النجسية"، وهاتين الدراستين تنطلقان من مقولات مدرسة التحليل النفسي الفرويدي .  
وله كتاب آخر بعنوان (ابن الرومي حياته من شعره) إذ أخضع شعر ابن الرومي لمبادئ المنهج النفسي في النقد، ومضى يتقصى حياة ابن الرومي ويفتش عن دقائقها في شعره.  
وهناك كم هائل من المؤلفات العربية في هذا المجال ك(كتاب التفسير النفسي للأدب) للدكتور عز الدين اسماعيل، وأمين الخولي في كتابه: (البلاغة وعلم النفس) .